الصاعقة السادسة عشرة: أعيدوا صباحي فهوَ عندَ الكواعبِ(*)

أَعيدوا صباحي فهوَ عندَ الكَواعبِ ... وردّوا رُقادي فهو لحظُ الحبائبِ

فإنَّ نهاري ليلةٌ مُدْلَهِمّةٌ ... على مُقلةٍ من بعدكُمْ في غياهبِ(١)

بعَيدَةِ ما بينَ الجُفُونِ كأنّما ... عقدتُم أعالي كلِّ هُدبٍ بحاجبِ

وأحسبُ أني لو هويتُ فراقَكُم ... لفارقْتُهُ والدّهرُ أخبثُ صاحبِ

فيا ليتَ ما بيني وبينَ أحبتي ... من البُعدِ ما بيني وبينَ المصائبِ

أراكِ ظَننتِ السّلكَ جسمي فعُقتِه ... عليك بدُرٍّ عن لقاءِ الترائبِ

ولو قلمٌ أُلقيتُ في شقّ رأسِه ... من السّقم ما غيّرتُ منْ خطّ كاتبِ

تُخَوِّفُني دونَ الذي أمرتْ بهِ ... ولم تدرِ أنَّ العارَ شرُّ العواقبِ

ولابدَّ منْ يومٍ أغرَّ محجَّلٍ ... يطولُ استِماعي بَعدَهُ للنوادبِ(٢)

يهونُ على مثلي إذا رامَ حاجةً ... وُقوعُ العوالي دونَها والقَواضبِ

كثيرُ حياءِ المرءِ مثلُ قَليلِها ... يزولُ وباقي عيشِه مثلُ ذاهبِ

إليكِ فإني لستُ ممن إذا اتَّقى ... عضاضَ الأفاعي نامَ فوقَ العقاربِ

أتاني وعيدُ الأدعياءِ وأنهم ... أعدّوا لِيَ السّودانَ في كفرِ عاقبِ(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي.

(١) مدلهمة: شديدة السواد. الغياهب: الظلمات.

(٢) الأغر: الأبيض. المحجل: ما كان في قوائمه بياض.

(٣) الأدعياء: جمع دعي، وهو من انتسب إلى غير أبيه. كفر عاقب: اسم قرية بالشام.

ولو صدقُوا في جدّهم لحَذِرتُهم ... فَهَلْ فيّ وحدي قَولُهم غيرُ كاذبِ
إليّ لَعَمري قصدُ كلِّ عَجيبَةٍ ... كأنّي عَجيبٌ في عُيُونِ العَجائبِ
بأي بلادٍ لم أجُرَّ ذُؤابَتي ... وأيُّ مكانٍ لم تطأهُ ركائبي
كأنَّ رحيلي كانَ منْ كفّ طاهرٍ ... فأثبتَ كوري في ظهورِ المواهبِ
فلم يبقَ خلقٌ لم يردْنَ فناءهُ ... وهنّ له شُرْبٌ ورودَ المشاربِ
فتى علّمتْهُ نفسُهُ وجدودهُ ... قراعَ العوالي وابتذالَ الرّغائبِ
فقدْ غيّبَ الشُّهَّادَ عنْ كلِّ موطنٍ ... وردّ إلى أوطانه كلَّ غائبِ
كذا الفاطميّونَ النّدى في بنانهمْ ... أعزُّ أمّحاءً منْ خطوطِ الرَّواجبِ[1]
أُناسٌ إذا لاقوا عدًى فكأنما ... سلاحُ الذي لاقوْا غُبارُ السّلاهبِ
رموْا بنواصيها القسيَّ فجئنَها ... دَوامي الهَوادي سالماتِ الجَوانبِ[2]
أولئكَ أحلى منْ حياةٍ مُعادَةٍ ... وأكثرُ ذكراً منْ دهورِ الشبائبِ[3]
نصرتَ عليًا يا ابنهُ ببَواترٍ ... من الفعْلِ لا فلٌّ لها في المضارِبِ
وأبهرُ آياتِ التّهاميّ أنَّهُ ... أبوكَ وأجدى ما لكُمْ من مَناقِبِ[4]
إذا لم تكنْ نفسُ النّسيبِ كأصلِهِ ... فماذا الذي تُغني كرامُ المناصبِ[5]

---

(١) الرواجب: مفاصل الأصابع.
(٢) الهوادي: الأعناق.
(٣) الشبائب: جمع شبيبة.
(٤) التهامي: أراد به الرسول صلى الله عليه وسلم. أجدى: أنفع. المناقب: المفاخر.
(٥) النسيب: الشريف. المناصب: الأصول.

وما قربتْ أشباهُ قَومٍ أَباعِدٍ ... ولا بعدتْ أشباهُ قومٍ أقارِبِ

إذا عَلَوِيٌّ لم يكنْ مثلَ طاهرٍ ... فما هوَ إلا حُجّةٌ للنواصبِ[1]

يَقولونَ تأثيرُ الكَواكِبِ في الوَرى ... فما بالُه تأثيرُهُ في الكواكِبِ

عَلا كَتَدَ الدُّنيا إلى كُلِّ غايَةٍ ... تسيرُ به سَيرَ الذلولِ براكِبِ[2]

وحُقّ له أن يسبقَ الناسَ جالِسًا ... ويدركَ ما لمْ يُدركوا غيرَ طالبِ

ويُحْذى عَرانينَ المُلوكِ وإنّها ... لمنْ قَدَمَيْه في أجَلّ المَراتبِ

يدٌ للزمانِ الجمعُ بيني وبينهُ ... لتفريقِه بيني وبينَ النوائبِ

هو ابنُ رسولِ اللهِ وابنُ وصِيّهِ ... وشبهُهُما شبّهتُ بعدَ التّجارِبِ

يرى أنّ ما بانَ منكَ لضاربٍ ... بأقتلَ مما بانَ منكَ لعائبِ

ألا أيُّها المالُ الذي قدْ أبادَهُ ... تعزَّ فهذا فِعْلُهُ بالكتائبِ

لعلّكَ في وقتٍ شغلتَ فؤادَهُ ... عن الجودِ أو كثَّرتَ جيشَ مُحارِبِ

حملتُ إليه من لساني حَديقةً ... سقاها الحجى سقيَ الرِّياض السّحائبِ[3]

فحُيّيتَ خيرَ ابنٍ لخيرِ أبٍ بها ... لأشرفِ بيتٍ في لُؤيّ بنِ غالبِ

---

(١) النواصب: الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. الذلول: الدابة المذللة للركوب.

(٣) الحديقة: البستان، وهو هنا القصيدة نفسها. الحجى: العقل.